جامعة شعيب الدكالي
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵛⵄⵢⴻⴱ ⴷⴻⴽⴽⴰⵍⵉ
Université Chouaïb Doukkali

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجديدة

قراءات في مشاريع إصلاحية

(عروض قدمت في الندوة الدولية)
بتاريخ 12/11 مارس 2022

مؤلف جماعي

الطبعة الأولى

2022

مدير الندوة ومنسق الكتاب
الدكتور الحسن صدقي

Scanné avec CamScanner

الكتاب: قراءات في مشاريع إصلاحية

إعداد: الطلبة الباحثون في سلك الدكتوراه

إشراف: السادة الأساتذة أعضاء مختبر الدراسات الإسلامية والتنمية المجتمعية جامعة شعيب الدكالي.

تقديم: الدكتور: الحسن صدقي

الإخراج الفني: الدكتور: أحمد فاضل

التصفيف: الدكتور: أحمد فاضل

الطبعة الأولى: 1443هـ/2022م

حقوق النشر: مختبر الدراسات الإسلامية والتنمية المجتمعية -كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة

الإيداع القانوني: 2022MO1964

ردمك: 978-9920-687-20-1

الطبع: دار القلم للطباعة والنشر -الرباط

Scanné avec CamScanner

الكتاب: قراءات في مشاريع إصلاحية

إعداد : الطلبة الباحثون في سلك الدكتوراه

إشراف: السادة الأساتذة أعضاء مختبر الدراسات الإسلامية والتنمية المجتمعية جامعة شعيب الدكالي.

تقديم: الدكتور: الحسن صدقي

الإخراج الفني: الدكتور: أحمد فاضل

التصفيف: الدكتور: أحمد فاضل

الطبعة الأولى: 1443هـ/2022م

أعضاء لجنة التحكيم

د/ الحسن صدقي مدير الندوة.

د/ أحمد فاضل عضو اللجنة التنسيقية.

د/ فؤاد بلمودن عضو اللجنة التنسيقية.

د/ عبد الجبار لند عضو اللجنة التنسيقية.

د/ ابراهيم العقيلي عضو اللجنة التنسيقية.

د/ الطيب شطاب عضو اللجنة التنسيقية.

د / نور الدين لحلو مدير المختبر.

د/ عبد الرحمان السايب.

د/ محسن ابن زاكور.

منسقا التواصل بين مدير الندوة والطلبة الباحثين:

عبد الله العلوان / عبدالخالق الشطيبي

هذه البحوث تعبر عن أراء أصحابها.

Scanné avec CamScanner

فهرس الموضوعات

- تقديم مدير الندوة الأستاذ الدكتور الحسن صدقي.....05

- النهوض بالبحث العلمي وأثره في التنمية والإصلاح: استراتيجية إيسيسكو للنهوض بالجامعة وتنمية البحث العلمي أنموذجا

الدكتور فؤاد بلمودن، أستاذ التعليم العالي، جامعة شعيب الدكالي.....09

- منهج التعامل مع التراث الفقهي دراسة وتوثيقا

الدكتور أحمد فاضل، أستاذ التعليم العالي، جامعة شعيب الدكالي.....17

- الحكومة النبوية دوحة نهضة الأمة الإسلامية في ضوء كتاب (نظام الحكومة النبوية) المسمى (التراتيب الإدارية) للعلامة الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى.

الدكتور شحادة العَمْري أستاذ التفسير بجامعة باليرموك.....25

- اقتحام العقبة: من سنن تداول الأيام | سنة التدافع والخروج من عقبة الاستضعاف | رؤية قرآنية لصناعة التوازن والسلام العالميين

الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي، أستاذ في كلية الشريعة، جامعة قطر.....32

- المشروع الإصلاحي لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ت1345هـ) من خلال كتابه: نصيحة أهل الإسلام"

إعداد الطالب الباحث: الحسن ضهراني.....35

- الشيخ أبو شعيب الدكالي (1356هـ) وجهوده الإصلاحية في التعليم

إعداد الطالبة الباحثة: سناء بن الشيخ.....54

- الإصلاح القضائي عند العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت1376هـ) من خلاله كتابه: المغرب الأقصى والحماية"

إعداد الطالب الباحث: كمال الزبيدي.....65

- فقه سنن التاريخ بين مركزية الرؤية القرآنية والمشاريع الإصلاحية بالمغرب المعاصر: محمد الحسنالحجوي الثعالبي (ت:1376هـ/1956م) أنموذجا"

إعداد الطالب: رضوان المنصوري.....93

- الرؤية الإصلاحية للعلامة الفاروق الرحالي (ت1405هـ) من خلال بعض دروسه الحسنية الرمضانية"

إعداد الطالبة الباحثة: وفاء ضوفار.....112

Scanné avec CamScanner

- الإصلاح والتجديد في فكر العلامة عبد الله كنون (ت1409هـ) قضايا ونماذج من خلال كتابه: تفسير المفصل"

إعداد الطالب الباحث: عبد الخالق الشطيني.....125

- إصلاح الشباب من منظور العلامة محمد المِكي الناصري (ت1414هـ) من خلال كتابه: مع الشباب"

إعداد الطالبة الباحثة: هاجر حسناوي.....140

- رواد المدرسة الحضارية في الإصلاح:"مالك بن نبي" (ت1393هـ) أنموذجا"

إعداد الطالبة الباحثة: سعيدة إزكاغن.....154

- التربية وعلاقتها بطبيعة الأفكار عند مالك بن نبي: "(ت1393هـ) رؤية إصلاحية استشرافية"

إعداد الطالبة الباحثة: عفاف مرابط.....172

- جهود علماء غينيا الفكرية في إصلاح الراعي والرعية: مملكة فوتا جالون نموذجا"

إعداد الطالب الباحث: محمد بوي صو.....188

- مقومات الفكر الإصلاحي عند عبد الحميد أبي سليمان (ت1442هـ) تحليل ودراسة

إعداد الطالب الباحث: عز الدين حدو.....218

- الفكر الإصلاحي عند محمد رشيد رضا _ الإصلاح الديني نموذجا_

إعداد الطالب الباحث: عبدالعالي أودقي.....229

- ملامح التجربة الإصلاحية لمحمد يونس " بنك الفقراء " سبيل لنهضة حضارية إنسانية.

إعداد الطالب الباحث: حميد خالد.....239

- البعد الإصلاحي لفتاوى المجلس العلمي الأعلى بالمغرب"

إعداد الطالبة الباحثة: لطيفة ريماوي.....252

- البعد الإصلاحي في فكر طه عبد الرحمن: النظرية الائتمانية أنموذجا"

إعداد الطالب الباحث: عبد الحكيم عاطف.....268

- نماذج من الإصلاح الأسري عند الشيخ عبد الله بن بيه من خلال كتابه: "صناعة الفتوى وفقه الأقليات وأثرها على مسلمي فرنسا"

إعداد الطالب الباحث: محمد المختار العزاوي اهدا.....277

- التكافل الأسري ودوره في الإصلاح

إعداد الطالب الباحث: عبد الله العلوان.....297

Scanné avec CamScanner

- انفتاح الصوفية على مؤسسات الدولة في القرن السادس الهجري وأثره في الإصلاح "

إعداد الطالب الباحث: محمد مقساوي.....309

- الخطاب الحداثي وسؤال القراءة الجديدة للنص الديني"

إعداد الطالب الباحث: مهدي العيشي.....323

- معالم إصلاح الشأن الديني بالمغرب الدروس الحسنية أنموذجا

إعداد الطالب الباحث: إبراهيم بنمرجان.....354

Scanné avec CamScanner

المداخلة الحادية عشرة: بعنوان:

"مقومات الفكر الإصلاحي عند عبد الحميد أبي سليمان (ت1442هـ) تحليل ودراسة

إعداد الطالب الباحث: عز الدين حدو

جامعة محمد الأول

Scanné avec CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

عرف الفكر الإصلاحي (إعادة قراءة الإسلام والدين وتشكيل منظور إصلاحي تمدني له، أي تنشيط الدين وإعادة الحيويّة له وتجديده على نحو يجري مع العلم والعقل والترقي والتمدن، ويعزز قواعد الأخلاق الإنسانيّة الأصيلة[1]) في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين صفحات مشرقة، رسمها رجال حملوا على عاتقهم راية تجديد وإصلاح واقع الأمة الإسلامية، الذي أنهكته وخربته سنوات الاستبداد وسياسات الاستعمار الأجنبي بعدها. ففي داخل كل أمة عوامل ذاتية توقظها من رقود، وتحركها بعد الخمول والجمود، ولا دالّ على ذلك عندنا أكثر مما جاء في الحديث النبوي الشريف أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[2]. وهذا المن كما دأب مفكرو الإسلام وعلمائه قد يكون فردا أو جماعة، يحملون رسالة الإسلام ويدعون إلى إقامة نظامه وتعاليمه وشرائعه.

رجال شغلت قضية التغيير نفوسهم وقولوبهم، فأبدعت عقولهم في نسج وجهات إصلاحية متنوعة بتنوع واقع الأقطار الإسلامية، وتنوع الأنظمة السياسية في كل قطر. بحثا عن مواطن الخلل، وطلبا لسبل النهضة والإقلاع الحضاري. و تبقى معالم هذه المشاريع الإصلاحية على تنوعها تتشكل كلها في ضوء تعاليم النص القرآني والسنة النبوية.

وهي مشاريع ما يزال الباحثون المتخصصون في الفكر الإسلامي يسلطون على كثير منها الضوء، من أجل كشف الستار عنها وبسطها وتقويمها. لهذا الغرض نوجه نظرنا في هذا البحث نحو رصد سبل النهوض الحضاري للأمة الإسلامية من خلال دراسة مقومات الفكر الإصلاحي للمفكر الإسلامي الدكتور عبد الحميد أبو سليمان مؤسس المعهد العالمي للفكر الإسلامي رحمه الله.

- فكيف يشخص الدكتور عبد الحميد أزمة الأمة الإسلامية؟
- وماهي منطلقات الأصالة الإسلامية المعاصرة عند الرجل؟
- وماهي المجالات التي يتقصّدها مشروعه الفكري بالإصلاح والتغيير؟

وأهم الدوافع التي دفعتنا للنظر في مشروع المفكر الإسلامي عبد الحميد أبو سليمان هي:

---

[1] فهمي جدعان، في الخلاص النهائي: مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، عمّان(الأردن): دار الشروق، 2007، ص80

[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه قال:"إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ". رواه أبو داود (رقم/4291) وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" (149)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/599).

Scanné avec CamScanner

- استجلاء البعد الفكري الإصلاحي للدكتور عبد الحميد من خلال ما أثّل له من أعمال فكرية.
- قلة إن لم نقل غياب بحوث ودراسات عنيت بتقديم مقاربات وصفية تحليلية لفكر الرجل.
- **أولا: ملامح من شخصية الدكتور عبد الحميد أبو سليمان**

يصنف الدكتور أبو سليمان من بين أعمدة الفكر الإسلامي المعاصر، لما أسهم به في تطوير وتجديد الفكر والعمل الإسلاميين. فقد ترأس منصب الأمين العام للندوة العالمية للشاب الإسلامي[1] ، وكان الرئيس الأول للمعهد العالمي للفكر الإسلامي وأحد مؤسسيه الأوائل، وهو من مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأميركية وكندا. كما أسس وأدار الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا من عام 1988م.

أما جانب التأليف العلمي في حياة الدكتور أبو سليمان فقد أبدع رحمه الله في نسج منظور تغييري فكري جمع بين التربية والعقيدة؛ والرؤية الحضارية والثقافة؛ والفكر والمنهج. منظور ينم على فهم الرجل العميق لرسالة الإسلام ومقاصده وتحدياته في الواقع المعاصر. فللرجل العديد من الكتب والأوراق العلمية الفكرية التي أطر بها في ندوات ومؤتمرات عالمية ومحلية. ومن مؤلفاته:

- نظرية الإسلام الاقتصادية: الفلسفة والوسائل المعاصرة.
- النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية: اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية.
- أزمة العقل المسلم.
- العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار: رؤية إسلامية.
- قضية ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية.
- أزمة الإرادة والوجدان المسلم.
- الإصلاح الإسلامي : الثابت والمتغير، تجربة الجامعة الإسلامية.
- الإنسان بين شريعتين.
- جزيرة البنائين: قصة عقدية تربوية.
- كنوز جزيرة البنائين: قصة عقدية تربوية.
- إشكالية الاستبداد والفساد في الفكر والتاريخ الإسلامي.
- الرؤية الكونية الحضارية القرآنية.

ولد عبد الحميد بن أحمد أبو سليمان بمكة المكرمة عام1355 هـ1936 / م، ووافته المنية عن سن يناهز 84 سنة عام 2021م 18 أغسطس بالسعودية.

---

[1] هيئة إسلامية عالمية مستقلة يشترك في عضويتها عدد كبير من الجمعيات المنتشرة حول العالم، تأسست عام 1392هـ (1972م) على إثر لقاء ضم عددًا كبيرًا من مندوبي منظمات الشباب الإسلامي في العالم بالسعودية.

Scanné avec CamScanner

ثانيا: تشخيص الأزمة ومجالات الإصلاح

لا ريب أن الأمة الإسلامية في عصرنا هذا تمر بأزمة مستفحلة ضربت بجذورها في الحقل السياسي والاقتصادي؛ والاجتماعي؛ والتربوي وغيرها من الحقول. أزمة خلقت نوع من التفكك والتيه وضياع هوية أمة يخزّن تاريخها وأرضها وشعوبها من الإمكانات والطاقات ما لا تملكه غيرها من الأمم المزدهرة والمتقدمة في العصر نفسه. وهي المعادلة الغريبة التي استفزت أقلام أعمدة الفكر الإسلامي المعاصر لتشخيص هذا الواقع المرير، بحثا عن المنطلق الصحيح في عملية التغيير التي أصبحت مسألة حتمية، من خلال ترتيب خطورة الأزمات وأولويات المعالجة. فمن قائل إن الأزمة أزمة سياسية، وآخر يراها أزمة تفكير؛ وجماعة تراها أزمة عقيدة، وغير ذلك من التشخيصات المتباينة والمتنوعة.

ومن تلكم التشخيصات لواقع الأمة تشخيص الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الذي يرى أن المنطلق الصحيح في التغيير لا بد أن ينطلق من الفكر، ذلك أن "الفكر هو المقدمة الطبيعية لكل عمل ينبع منه صحيحا كان أم خاطئا"[1]. طبعا، فالأزمة الفكرية التي نعيشها حقيقة لا يمكننا إنكارها، فهي من أكبر عوائق النهوض والتقدم الحضاري للأمة.

تتجلى هذه الأزمة الفكرية في عدم قدرة العقل المسلم المعاصر على تجاوز أخطاء الماضي وانحرافاته، فقد ظل مقيدا بمنهج تاريخي سياسي مذهبي "دون القدرة على الفهم والتميز وتصحيح المسارات، والغوص في أعماق القضايا التي يواجهها، وتحصيل اللباب من ورائها وبين ثناياها حتى تنطلق المسيرة راشدة واثقة باتجاه المستقبل، لا أن تقعد كفيفة مكبلة في زوايا الماضي الغابر"[2]. وبالتالي فأزمة الأمة ليس في ما تعتقده من معتقد ديني (الإسلام) وفي غاياته ومقاصده ، بل الإشكال في فهم الدين وتنزيل معالمه وقيمه ومبادئه وفهم مقاصده، أي ضمور الفكر وسيطرة التقليد في الدراسات والمعالجة والتطبيق.

ولن نتقدم إن أبطلنا من حساب التغيير منهج التفكير ومنهجية التعامل مع التراث الفكري، أي التعامل الصحيح مع القيم؛ والرجال؛ والتاريخ؛ والأحداث... الذي ما ينبغ أن يتجاوز حد الدرس والعبرة، والتدبر والنظر ولا يكون ذلك إلا كما يقول أستاذنا: "قدوة وشحذا للهمة وبصرا بالمثالب والأخطاء والانحرافات ونقائض البشر التي تشدنا إلى الأرض فتزيلها من أعناقنا وسواعدنا وأقدامنا قيودا وأغلالا وأثقالا[3].

وبقدر ماهي (الأزمة الفكرية) أزمة تقليد وجمود فهي أيضا أزمة تيه منهجي في التفكير، ففي الوقت الذي تملك فيه الفلسفات المادية (لبيرالية؛ اشتراكية؛ قومية...) نسقا منهجيا في تحليل الواقع والتاريخ

---

[1] د. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 09.

[2] المرجع نفسه، ص 51.

[3] المرجع نفسه، ص 53.

Scanné avec CamScanner

ونقدهما، ومنطلقات تمكن من رسم واقع مستقبلي، ما نزال نحن نعبر بعواطفنا الجياشة عن مطالب عمومية، ونسد فراغ التخلف باستدعاء أمجاد قرون قد مضت وولت.

ثالثا: أصل الأزمة وجذورها

يُرجع أستاذنا عبد الحميد أصل هذه الأزمة الفكرية ومنطلقاتها - ويتجلى في ذلك عمق الرجل في التحليل، ودقته في التشخيص - إلى الانفصام النكد الذي أصاب عقل المسلمين بعد الصدر الأول من تاريخهم، أي انفصام القيادة السياسية والفكرية. بفهم آخر أكثر إيضاحا: أي إبعاد رجال الدعوة والفكر عن التدخل في كل ما يخص شؤون الدولة السياسية وتسييرها، ليستفرد في مقابل ذلك صاحب السيف وأصحاب العصبيات العرقية بالسلطة. فانكب أهل الدعوة والفكر على دراسة النصوص والأقوال وتأسيس العلوم، وبسط الفتاوى الفقهية للأحوال الشخصية والأسرية. وظلت منزلتهم من الحكم وتسيير الدولة إما معارض للحكم مضطهد، أومحايد منعزل، أومنتقد عاجز، أومتعاون لمصلحة دينية[1] أو شخصية.

انفصام خطير هذا الذي حول مجرى حياة الأمة وفقدت بموجبه مقوماتها وتهاوت شيئا فشيئا إلى دراكات التخلف والانحطاط. هذا الانفصام جعل الأمة تعيش منذ ذلكم الحين إلى يوم الناس هذا على آثار ومنتجات الصدر الأول وما أثلوه من سياسات وتنظيرات ومفاهيم.

غير أنه كان لا بد "للجذوة أن تخبو، وللحركة أن تتلاشى كلما تغيرت الأحوال، وظهرت عوامل المقاومة، وتغيرت المعالم والتحديات، وفي هذه الأحوال فُقد دليل العمل وتلاشت طاقة الدفع والتجديد وذلك بانفصام القيادة السياسية عن القيادة الفكرية وتعارض السلاطين والعلماء والتباعد بينهما مما أدى إلى الركون للحرفية والتقليد"[2].

وتبع هذا الانفصامَ انكسار آخر تمثل في سقوط آخر معاقل المسلمين "الدولة العثمانية"، نتج عنه تمكن الاستعمار من بلاد المسلمين وتمزيق وحدتهم وهويتهم، وتولي الأنظمة الاستبدادية العلمانية ذات التبعية الغربية الحكم. فإن تعددت أسباب هذا السقوط المدوي من حروب صليبية، وبلقانية، ومشاركة العثمانيين في الحرب العالمية، وصراعات داخلية كان لها الأثر البليغ في انهيار الامبراطورية الاسلامية وغيرها من الأسباب التي دوَّنها المؤرخون ذوو النظرة القصيرة المفصلية، فإننا لا يمكن أن ندرس تاريخ الدولة العثمانية، وأسباب سقوطها بمعزل عن تاريخ الأمة الاسلامية منذ أحداث الصدر الأول إلى عصرنا هذا دراسة تفحصية، نخلص من خلالها إلى أن سقوط الدولة العثمانية ليس إلا نتيجة حتمية لتراكمات

---

[1] من باب الحفاظ على وحدة الأمة ولو في أدنى مظاهرها، وخوفا من ضياع الدين وسط الفتن المذهبية وصراعاتها.

[2] أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 72.

Scanné avec CamScanner

وعوامل كان منطلقها يوم انحرف المسلمون عن المنهج الجامع، الذي يقوم على الجمع بين الدعوة والسلطة، ويجعل من هذه الأخيرة تابعة للدعوة وخادمة لها لا العكس.

وسيبقى "فهمنا لحاضر الأمة ومستقبلها مضببا بل مشوشا غاية التشويش إن لم ندرك أبعاد تلك الأحداث وآثارها على مسار تاريخنا" فتلك "رجة عظيمة مزقت كيان الأمة المعنوي وبقي المسلمون يعانون من النزيف في الفكر والعواطف منذئذ، ويؤدون إتاوات باهظة لما ضعف من وحدتهم وتمزق من شملهم وتجزأ من علومهم وأقطارهم"[1]. فالحاضر لا يخرج كما يقال إلا من الماضي، لذلك وجب فحص أحداث هذا الأخير فحصا متأنيا لمعرفة السنن الكونية التي تشكل عوامل بناء أي حضارة أو انحطاطها، حتى نستطيع تسطير قانون معاصر لحركة الحياة.

رابعا: الأصالة الإسلامية المعاصرة ومنطلقات الخروج من الأزمة

إذا سلمنا واتفقنا من خلال ما سبق على حقيقة الأزمة وعمق الهوة التي عاشتها وتعيشها الأمة الإسلامية، وما تعانيه من تمزق في وحدتها وتيه منهجي في تفكيرها. فمن العور أن نغض الطرف عن محاولات الإصلاح والتغيير التي مثلتها اليقظة الفكرية في العالم الإسلامي ابتداء من القرن التاسع عشر، والتي حاولت بلورة نظر فكري وحركي لتجاوز التحدي الذي فرضه الغرب الاستعماري، وفي سبيل اللحاق بالعصر المتقدم. حتى أصبحت الساحة الإسلامية ميدانا تتجاذبه إرادات تغييرية كثيرة ومتنوعة في توجهاتها. وهذا يدفعنا إلى أن نتساءل عن طبيعة هذه الحلول التي طرحتها اليقظة الفكرية والحركية للخروج من الأزمة، وعن المنطلقات الفكرية لتجاوز هذا التيه المنهجي في التفكير؟

أجمل الدكتور عبد الحميد أبي سليمان هذه الحلول والمنطلقات المعاصرة المعروضة أمام الأمة في ثلاثة توجهات هي:

- منطلق الحل الأجنبي (الحل المستورد)
- منطلق الحل التقليدي التاريخي
- منطلق الأصالة الإسلامية المعاصرة

[1] الأستاذ عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، ط 4/ 2018، ص 27.

Scanné avec CamScanner

الحل الأجنبي:

"المغلوب مولَع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده[1]" هكذا قعّد الحكيم ابن خلدون في ديوانه لعلاقة الغالب بالمغلوب، والسبب في نفس الديوان هو أن " النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقَر عندها من تعظيمه، أو لما تُغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب .فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا، فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به"[2]. نعم قد جلعت الغلبة والتفوق الغربيين في مجالات السياسة والاقتصاد والصناعة بعض "مفكرينا" في العالم الإسلامي ملء فراغ تخلفهم وتقهقر حضارتهم عن طريق نقل المعرفة والخبرة والعلوم التقنية والفنية وغير ذلك من الأساليب والمحاكاة في التقليد الأعمى للغرب في شتى المجالات إلى بلادهم. وكان منطلق ذلك كما يؤرخ مفكرنا أبو سليمان يوم تبنَّت" الدولة العثمانية هجمة العالم الأوروبي الغربي وتفوق قواته، وتراجع طاقتها ونظامها أمام تحديات النظام الغربي وإنجازاته"[3]، فـ "أخذت الدولة العثمانية بقوة وعزم منذ القرن الثامن عشر ميلادي وعلى يد السلطان سليم الثالث، بتقليد الأجنبي الأوروبي واعتبرت ذلك التقليد سبيلها الوحيد إلى القوة وإعادة البناء"[4].

. بل ذهبت هذه الفئة من المفكرين إلى أبعد من ذلك في طلب سبل الإصلاح عن طريق اللجوء للآخر الغربي، بحيث خلص نظرهم في تقدم الغرب وازدهار حضارتهم إلى رصانة نظامهم السياسي الذي يضمن للناس حريتهم ويحفظ لهم كرامتهم ويقيد السلطة بالقانون. في مقابل ذلك أرجعوا تأخر وتخلف البلدان الإسلامية إلى ذلكم النظام الذي يسوسهم القائم على الاستبداد. وبالتالي ينبغي الأخذ بالنموذج الغربي لتحقيق النهضة والتقدم.

وقد استعملوا في خطابهم الإصلاحي مجموعة من المصطلحات والمفاهيم والنظم المستوردة من الغرب في تنظيرهم للتنظيم المدني المجتمعي والسياسي. لكن لم يغير استيرادهم هذا في واقع الحال شيئا، بل ظل الأمر كما هو إن لم نقل ازداد سوءا، مع العلم أنها نجحت في تقدم المجتمعات الغربية. فالأزمة السياسية في البلاد الإسلامية لا تزيد إلا اختناقا لا سواء في البلدان ذات النظام الديمقراطي الدستوري ولا ذات النظام الاشتراكي.

يمكن تفسير فشل هذا النقل غير الموفق إلى كون هذه الأفكار والنظم "في المجتمعات الإسلامية تطبيق منقول لمنطلقات تغاير منطلقات الإسلام وقيمه في المجال الاقتصادي (المؤسسة البنكية على سبيل المثال)، فوضعت الإنسان المسلم والأمة المسلمة في المجال الاقتصادي أمام خيار صعب مرفوض؛

---

[1] عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط الثانية 1988م، ج 1، الفصل 23، ص 184.

[2] المرجع نفسة، ج1، ص 184.

[3] أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 29

[4] نفسه، ص 29

Scanné avec CamScanner

إما الغنى والقدرة الاقتصادية في الدنيا، ولكن على أسس وقيم غير إسلامية بالتعامل الربوي مع البنوك، وبالتالي فالمصير في الدار الآخرة الخالدة تعاسة وشقاء وعذاب، وإما عناء وعجز وفقر في الدنيا إذا كان الالتزام بقيم الإسلام وشريعته برفض التعامل مع المؤسسة البنكية الربوية مقابل أمل النعيم والفلاح في الدار الآخرة"[1] وقس على ذلك.

وبالتالي لم تكن الأمة بحاجة إلى هذه الحلول -سواء في المجال الاقتصادي أو غيره- المستوردة المستمدة "من أيديولوجيات أجنبية عنها، وأن هذه الحلول المصطنعة لم تكن حتمية تاريخية، وأكثر من ذلك أنها لم تكن ملائمة، وأكثر من هذا وذاك أنها كانت معوقة وضارة بدنيا أمتنا، فضلا عن مناقضتها لدينها"[2]؛ لأنها لم تكن نابعة من كيان الأمة وهويتها وقيمها وحاجتها المتجددة في كل عصر.

الحل التقليدي التاريخي:

في سياق محاولات الإصلاح والتغيير التي شهدتها الساحة الإسلامية، وفي مقابل أصحاب الحلول المستوردة الفاشلة نجد أصحاب الذهنية المقلدة التي سيطرت على الأمة، لا نقول ابتداء من القرن التاسع عشر وإنما لقرون عدة. هذا الحل كما يشخصه أبو سليمان يلغي "بعشوائية ملفتة للنظر، الأبعاد الزمانية والمكانية لكيان الأمة ومسيرتها التاريخية"[3]. إنه حل يسعى إلى "سحب حاضر الأمة إلى ماضيها... على نحو يحصره في دائرتي الشعائر والشؤون الشخصية"[4]، لماذا؟ لأن أصحاب هذا الحل هم نتيجة الانفصام الذي تحدثنا عنه في محور "أسباب الأزمة" أي انفصال القيادة الفكرية عن القيادة السياسية، وانزواء الأولى وقصر نظرها في الجزئيات الفقهية بعيدة عن الواقع الاجتماعي والسياسي وقضاياه.

هي ذهنية التقليد الأعمى التي تحاول إسقاط صور الماضي الغابر بوقائعه وأحداثه على واقع المسلمين المعاصر، ذهنية عاجزة تفتقد المبادرة التي تؤهلها إلى النظر في كتاب الله وسنة رسوله بعقل معاصر يجيب عن إشكالات العصر وتساؤلته، للخروج من الأزمة الخانقة. ولا تنظر إلى الموروث العلمي إلا في إطار موقعه من حيث ظروفه التاريخية والقضايا السياسية والصراعات المذهبية بدل تقديسه والوقوف عنده.

منطلق الأصالة الإسلامية المعاصرة:

---

[1] نفسه، ص 34

[2] د. يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، مكتبة وهبة –القاهرة، ط الخامسة / 1993م، ص 358

[3] أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 37

[4] د. السيد عمر، جامع فقه الأمة، دار الكلمة للنشر والتوزيع –القاهرة، الطبعة الأولى 2021م، ص 72

Scanné avec CamScanner

من الناحية النظرية التجريدية فإن مصطلح الأصالة لا يحتاج إضافة أي أوصاف إليه، حيث أن الأصالة بالضرورة تعني الانبثاق من الذات والتعامل مع الواقع وبشكل إيجابي، ولكن بسبب ملابسات ثقافة الأمة الإسلامية المشوهة المزدوجة فإن مصطلح الأصالة وحده عند أصحاب المدرسة التقليدية يعني العودة التاريخية والانحصار في قضايا وأحداث العصور السالفة، أما مصطلح المعاصرة عندهم فهو لا يعني التعامل مع قضايا العالم القائم، ولكنه يعني التغريب والانسلاخ من قيم الأمة ومبادئها. ويفهم أصحاب الثقافة المدنية والغربية أن مصطلح الأصالة يعني الرجعية وأن مصطلح المعاصرة يعني التغريب، ولذلك رأينا الجمع بين المصطلحين في هذه المرحلة فيكون المعنى المقصود واضحاً: وهو الانطلاق من قيم الذات ومبادئ الإسلام نحو التعامل مع قضايا العصر[1].

جوهر هذا الحل هو كونه أولا مؤسَّس من داخل الدين لا من خارجه، بمعنى أن منطلقه عقيدة الأمة وقيمها وتصوراتها؛ لأن هذا الإصلاح ومحاولة النهوض إنما يدور أصلهما على تحصيل وبناء مجتمع قوامه الشرع الإلهي في مجال التربية والاقتصاد والسياسة وغيرها، لأن "الشرع الإلهي هو بالنسبة للعقل الإنساني كالأصل بالنسبة للفرع، فيكون الشرع أولى بتأسيس العقل من أن يأسس العقل الشرع"[2].

وثانيا يكون هذا المنطلق هو الحلقة التي تربط أصالة الحل الإسلامي المعاصر بالحل التاريخي، ففي تاريخ السلف الصالح ومحاولاتهم الإصلاحية وما تركوه في ثنايا الكتب من اجتهادات، لمكاسب ثمينة من شأنها أن تغني وتوجه التجربة والاجتهاد المعاصرين مع "إدراك معنى التغيرات الكمية والنوعية في الحياة البشرية بكل ما يُحتمه حسن الفهم من الشمول والعمق والدقة والخبرة والتحليل ... وذلك يختلف عن حلول التقليد ومنطلقات المحاكاة حتى تأتي الحلول والسياسات والتصورات الإسلامية المعاصرة معبرة بل مطابقة لاحتياجات واقع الأمة ومطابقة مستجيبة لما تواجهه من تحديات حقيقية، وعلى أساس من قيمها وتصوراتها وغاياتها الإسلامية[3]. فالعودة إلى التراث إنما يكون القصد منها استخراج الأسس والقواعد والمناهج من الممارسات التارخية. وهذا الاستخراج لا يعني مطلقا أن يأخذ المفكر "كلّ ما تقرر في هذه الممارسات من مبادئ وقواعد ومضامين ومناهج... وإنما يعني أن يستنبط من هذه الممارسات ما تأكد فائدته، إما استنباطا مباشرا أو غير مباشر بعد أن يعيد النظر فيه، وبهذا، تظل الصلة بهذا التاريخ قائمة، سواء في حالة الاعتقاد بصلاح بعض مسالكه أو في حالة الانتقاد لبعض مكوناته[4].

يؤكد مفكرنا أبو سليمان على أن سبيل تحقيق وبناء هذا الفهم الأصيل المعاصر إنما يتأتى أولا وابتداء عن طريق إعادة بناء وصياغة مناهج البحث الإسلامي بحيث تُأسس على قواعد الممارسة والإدراك والخبرة صوب الإسلام ومقاصده وقيمه وضوابطه الاجتماعية والحضارية. وباب هذا كله هو "التعليم بشقيه الروحي القيمي والفني العملي في مراحله كافة والعناية بمنطلقاته وفلسفته الإسلامية وبتعمقه

---

[1] عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 41.

[2] طه عبد الرحمان، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع لبنان-بيروت، الطبعة 2/ 2016، ص 26.

[3] أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 41.

[4] من الانسان الأبتر إلى الانسان الكوثر، مرجع سابق، ص 27.

Scanné avec CamScanner

وتخصصه العلمي في كل فروع المعرفة، خاصة جانب العلوم الاجتماعية والإنسانية"[1]. فالتعليم هو المدخل الأساس في إصلاح الأمة وبناء فكرها على نحو يؤهلها للفعل التاريخي والإبداع والإسهام في تأثيث المشهد الحضاري.

خاتمة:

بعد هذه الرؤية الفاحصة لفكر الدكتور عبد الحميد أبو سليمان والتي تجلى لنا من خلالها ملامح من مشروع الرجل التغييري، واتضح أمامنا عمقه في التفكير وقراءته المعاصرة للتراث، وإجاباته المنطقية عن إشكالات الأمة ومعاناتها نخلص إلى:

- أن الحلول الأجنبية والتاريخية عاجزة عن تحرير الأمة والمضي بها نحو أفق التقدم والبناء الحضاري.
- في مقابل ذلك يبقى الرهان على حل الأصالة الإسلامية المعاصرة سبيل لإحداث الإصلاح التي تحلم به الأمة الاسلامية إذا ما ركز مفكروها على تركيب منهج فكر سليم لتجاوز الخلل الذي أصاب عقل المسلم.

[1] أزمة العقل المسلم، مرجع سابق، ص 42-43.

Scanné avec CamScanner

المصادر والمراجع:

- د. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- **فهمي جدعان، في الخلاص النهائي: مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، عمّان(الأردن): دار الشروق، 2007.**
- الأستاذ عبد السلام ياسين، نظرات في الفقه والتاريخ، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت، ط 4/ 2018.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط الثانية 1988م.
- د. يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، مكتبة وهبة –القاهرة، ط الخامسة / 1993م.
- د. السيد عمر، جامع فقه الأمة، دار الكلمة للنشر والتوزيع –القاهرة، الطبعة الأولى 2021م.
- د.طه عبد الرحمان، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، المؤسسة العربية للفكر والإبداع لبنان-بيروت، الطبعة 2/ 2016.

Scanné avec CamScanner